

أغنيةُ ما غادرتُ عُشَّـهُ فـمـي

يُـرَوِّى عـن النـخـلِ أنـَّـا كـلَّـمَـها

وأنـزلَ الوحـيَ فـي (هـجـرٍ) وألـهَمَـها

ومـنـذُ مـيـقـاتـه مـدَّـتُ سـوـاعـدَـها

نـحـو السـمـاـوـاتِ كـي تـصـطـادَ أنـجـمَـها

تـصـطـادُ مـن غـيـمـةٍ فـضـيـةٍ قـمـرًا

وتـنـتـقـي مـن بـقـاعِ الأـرضِ أعـظـمَـها

مـنَ أـلـهـمَ الرـمـلِ أنـَّـا النـخـلَ سـيـدَـهُ

عـطـشـى فـأجـرى لـها بـالـلـطـفِ زـمـزـمَـها؟

هـل هـاجـرُ أـلـبـسَـتْـهـا رـودَـها طـمـأً

فـهـرولَ المـاءُ لـلأـعلى لـيـخـدـمَـها؟

مـن سـاءلَ الضـوءَ عـن أثـوابِ عـفَّـتَـها

وهـي التـي شـابـهت فـي الطـهـر مـريـمَـها

لـهـفـي عـلـيـها إـلى صـحـرائـهـا انـتـبـذتُ

خوفًا ، فأَمَّ سَنَها الباري وأطعمَها

هَزَّتْ جُذوعًا وما هُزَّتْ كرامتُها

فإنَّ منْذ بَرى الأَكْوان أكرمَها

هل أعوزَ تَها جَهاثٌ في مَسيرَتِها

فامَّ سَاعِدَتٌ تَطْلُبُ الغِيماتِ سَلَمَها؟

حَطَّتْ قوافِلَها الخُضراءَ وانتظرتْ

كلُّ البساتينِ في الأنحاءِ مَقدمَها

حتى الرَبيعُ تَمشَّى في مزارعِها

مَسائِرٌ لا أَيْ فَصلٌ كان مَوسمَها

دَلَّ سَتٌ عذوقًا على أكتافِها غنَجًا

شَدَّتْ على خَصرِها البَني مَحْزَمَها

قَوامُها لم يَبن مِن تحتِ مَلْفَعِها

كَنَّ طَيلٌ شَعا عِ الشمسِ جَسَمَها

مَشَتْ دَلالًا فَشَفَّ النورُ مَشيَتَها

ولفَّ طوقٌ من السَّعَفاتِ معصمَها

هذا الوقارُ غريبٌ لستُ أفهمُهُ

مَن قال نحتاج تفسيرًا لنفهمَها

مهما اجتهدنا وأولنا صبابتنا

معشار ما يبلغ القاموس مُعجمَها

لا ليس تدركُها الأشعار متَّفقٌ

أنَّ القصائدَ لا تكفي لتنظمَها

يا شأنَها أكبرُته بدمي

كبذرةٍ تحمل الأغصانُ برعمَها

شبَّتْ عروسًا وتحدوها أنوثتُها

وأنجبتْ من بناتِ النخلِ أوسمَها

لو خيَّروني بقاعَ الأرضِ قلتُ لهم:

هي الضمانُ وحاشا أنْ أسلِّمَها

سوَّرتُ قلبي من أسوارِ ضحكتِها

حتى تسمّي على الجدران: مُغرمَها

في (القيصرية) في حاراتِها فَرَشَتْ

حصيرَها جَدَّةٌ تبتاعُ مرهمَها

لكلِّ من يبتغي للجرحِ عُشْبَتَه

لـ عَيْنٍ قَذَتْ تشكو تَأْلَمَها

ما أقنعتَها كنوزُ الناسِ في يَدِها

ما شأنها والعطايا إنَّ درهمَها

بـه ستبتاعُ للأطفالِ فرحتَهم

ماذا تريدُ من الدنيا؟ تبسُّمَها

إذا همّت دمعَةٌ مدّت موائدَها

نادتْ على الناس: أنْ ترتادَ مأتمَها

روائحُ النخلِ في أثوابِها علقتْ

لو أعوزَ الوردُ أشدّاءَ تنسُّمَها

تُفشي لنا - في الصبحِ - أسرارَ قوَّتِها

تسلّكتْ جذعَها العالِي لتصرمَها

وعبّأتْ جيبَها حلوى التمور وكم

مِن لُقمةٍ سارعت ليلاً لتقضّمَها

وتحتَ أفيائِها صلّت نوافلَها

مِن باحٍ للنخلِ نجواها وعلّسمَها؟

ب(الكوتِ) حصّنتْ أحلامي مسوّرةً

فلا كوابيسَ قد تأتي لتدهمَها

فيما (جواثا) تنامُ الليل آمنةً

مِن يجرأ اليوم أن يغزو مُخَيّمَها؟

هذا وجدّي عبدُ القيسِ حارسُها

وكلما اعوجّت الأوتادُ قوّمَها

مِن عهدِ (نوحٍ) جرى الطوفانُ فانتبذتْ

كلُّ الخليقةِ لا طودُ ليعصمَها

إلا كهوفاً من الأضلاعِ مشرعةً

آوتْ مَغارَتُها الشَّمْسُ ماءٌ مُعَدَمَها

تحنو على كلِّ مَن ضاعت قوافلُه

ما مرَّها تائهٌ إلا ويمَّمَها

عيونُها لم تكن إلا عواطفَها

سبحانَ مَن في قلوبِ الناسِ قسَمَها

(جرهاءُ) ما مسَّها التاريخُ وانتفضتْ

لم تبدِ من طرقِه المضي تَبرُّمَها

تمشي بكلِّ شموخٍ وهي واثقةٌ

أجملَ النخلِ في (هجرٍ) وأعظمَها

ما احتجتْ غيرَ حنينٍ فوقَ عَشْرِ فمي

مستنطقٍ أغنياتٍ غادرتْ فَمَها

حطَّتْ مواويلُها الخضراءُ في شفتي

فأينعتْ قبلةٌ ولهي لـتلتزمها

كلُّ الأغاني تجلَّتْ لي لأنشدَها

لم أستطع بعد رؤياها تكتّمها

غنيتُ للحبِّ، للأحلامِ عاشقةٌ

لعلها صادفتُ يومًا مُتَيّمَها

فمذ نعومةِ أظفاري رأيتُ أبي

والنخلَ كفاهُ ممدودةٌ دومًا ليدعمَها

في بيتنا نخلةٌ كانت تقاسمني

طفولتي كم أسرّنتُ لي لأفهمَها

في الصحو كنتُ أسلّـيها ألافها

في النوم أحسبُ وجداني مُكَلِّـمَها

أبصرتُ أمي تـريـّـنا سواسيةً

فقلت في خاطري: هل كنتُ توأمَها؟!

هل كنت سابحةً في رحمِ طينتها

أشمّـها كلما عطرُ توذّـمَها؟

أمي التي قاسمتُنا طيبَ مرضعِها

لن تطفمَ الخيرَ من ذاتي وتطفمَها

كانتْ تمشطُ صبحي في جدائِلها

بماءِ روجيَ شَاءتْ أنْ تحمِّمَها

في العصرِ ترسل للجيرانِ (نقصتنا)/

(تمريرةً) ذقتْ أشهاها وأطعمَها

ما خفتُ من عارضٍ نبضي توهِّمَه

فإنَّ سلَّـمَ قلبي حين سلَّـمَها

حرَّـزْتُ قلبي لما أنْ نقشتُ على

عباءتي وشمَها حتى أهنِّدَها

متى نَمَتْ شوكَةُ في كفِّ أسئلتي

أخرجتُ مبردَ طفري كي أقلِّـمَها

وهمتُ في غابةِ الوجدانِ مُبصرةً

غزالةً ضيَّـعتْ في النهرِ ضيغمَها

فقلت: إنْ ضعتُ (والأحساءُ) بوصلتي

وإنّ عطشت، روائي كان زمزمَها

لها شددتُ رحالي طفتُها ولهّا

وما تعجّلتُ أشواطِي لأختمَها

[للاستماع اضغط هنا](#)